كيف نغرس في نفوس الناس
قيمة المحافظة على المال العام؟

س: تعرفنا في الحلقة السابقة على حرمة المال العام والتحذير الشديد من العدوان عليه، فكيف نغرس في نفوس الناس قيمة المحافظة على المال العام؟

ج: بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

يهتم الإسلام بأن يغرس في الناس هذه القيمة، قيمة المحافظة على المال العام، وهو عندما يفعل ذلك يبدأ من أعماق النفس الإنسانية، ويهتم بأن يجعل الإنسان رقيباً على نفسه، يحاسبها قبل أن تحاسب، ويزن عملها قبل أن يوزن عليها.

يحاول الإسلام تحقيق ذلك بإشعار الإنسان بأن الله تعالى مطلع عليه، وأنه معه في كل آن، عند همه إذا هم، وعند تركه شيئاً إذا ترك ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧]، ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

[يونس:٦١]

يحاول الإسلام أن يجعل الإنسان يراقب نفسه ويكبح جماحها، فإذا تحقق له ذلك، فإنه لن يحتاج إلى رقيب. أما إذا ألقى ربه وراءه ظهرياً فإنه يعي كل رقيب. فإذا بني الإنسان على قيمة المحافظة على المال العام، وغرس فى تكوينه أن المحافظة عليه عبادة من أهم العبادات وأن تبديده والعبث به معصية من أكبر المعاصي، كان ذلك الشعور

وهذا الإحساس هو خط الدفاع الأهم عن المال العام. أي أن الإسلام يعمد إلى تربية الفرد تربية تجعله يقظ الضمير، مراقباً لربه في كل سلوكياته، ثم يقيمه بعد ذلك حارساً على تعاليم الشريعة في كل مجال، ومنها مجال المال العام.

س: ما هي الوسائل التي يستخدمها الإسلام ليغرس في نفس المسلم المحافظة على المال العام؟

جـ: وسائل الإسلام لغرس هذا الإحساس، وخلق هذه القيمة كثيرة ومتعددة وأهمها ما يلي:

أولاً: يطلب الإسلام من المسلمين أن يتعبدوا الله تعالى بعبادات، ليست إلا وسائل لتربيتهم أخلاقيا، وتهذيب ضمائرهم، وربطهم بربهم آناء الليل وأطراف النهار، ويجعل من سلوك الفرد في حياته مع الناس عنواناً على صحة أدائه لهذه العبادات، «**مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا**»، فالهدف من العبادات هو تزكية النفوس، وتقوية مراقبتها لله تعالى، ومن ثم امتثالها لأوامره تعالى في كل مجال ومنها مجال المال العام.

ثانياً: يعمل الإسلام على غرس خلق الأمانة في نفوس الناس بشتى الطرق، تارة بالتحبيب في هذا الخلق، وأخرى بنفي الإسلام والإيمان عمن لم يحصله، فنجد الأمانة قاسماً مشتركاً في صفات المؤمنين في معظم المواضع التي ذكرت فيها هذه الصفات في القرآن الكريم، فالصفة الخامسة للمؤمنين في سورة «المؤمنون» الصفة السادسة لهم في سورة «المعارج» تقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[المعارج:٣٢] كما أن تخلف صفة الأمانة ينفى عن الشخص

الإيمان. يقول النبي ﷺ «لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ» ويجعله في عداد المنافقين فيقول: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» والمسلم يحرص أشد الحرص على اكتساب وصف الإيمان، والتخلص من النفاق.

ثالثاً: من وسائل الإسلام أيضاً محاربة الخيانة فى شتى صورها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[الأنفال:٥٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال:٢٧] وتوعد من يخون ويختلس شيئاً من المال العام بالعذاب الأليم، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾[آل عمران:١٦١] «مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهكذا يعمل الإسلام على تربية الشخص تربية تجعله ذاكراً لربه مراقباً له، وتجعل الأمانة صفة ملازمة للإيمان، والخيانة صفة مناقضة له، ويتوعد من يختلس شيئا من المال العام بالعذاب الشديد يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

س: كيف ننقل هذه المعاني إلى الناس ونصيغ بها سلوكياتهم؟

ج: ذلك دور التربية على مستوى الأسرة، وعلى مستوى المؤسسات التعليمية، والمؤسسات التثقيفية، وأهم من ذلك القدوة التي يقدمها المسئول في كل موقع من المواقع التي يتعامل فيها مع المال العام، وهى المجتمع كله بكل ساحاته. ولما مدح

سيدنا عمر بن الخطاب المسلمين الذين أرسلوا إليه بالمال العام الذي لم ير مثيلاً له عقب معركة القادسية قائلاً: إن قوما أدوا هذا لذووا أمانة. قال له سيدنا علي كرم الله وجهه: عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا.

نسأل الله الهداية والتوفيق